

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح رياض الصالحين

شرح حديث عائشة -رضي الله عنها- "مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ"  
وحديث أنس -رضي الله عنه- "يَا مُحَمَّدُ مَرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ"

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ففي باب "العفو والإعراض عن الجاهلين" أورد المنصف -رحمه الله- حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها- قالت: ((ما ضرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئاً قطُّ بيده، ولا امرأةً، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قطُّ فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله تعالى))<sup>(١)</sup>، رواه مسلم.

قولها: ما ضرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئاً قطُّ بيده يعني: لا بهيمة، ولا صغيراً، ولا كبيراً، ما ضرب شيئاً، فإن "شيئاً" نكرة في سياق النفي، فذلك للعموم.

((ما ضرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئاً قطُّ بيده، ولا امرأةً، ولا خادماً)) المرأة والخادم هي من جملة ما يدخل في الشيء، فيما سبق من قولها: ما ضرب شيئاً، لكنها خصت ذلك بالذكر؛ لأنه جرت عادة الكثيرين أن يضربوا المرأة والخادم؛ للتأديب.

((إلا أن يجاهد في سبيل الله)) بمعنى: أنه يضرب أعداء الله -تبارك وتعالى-، ((وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله تعالى)).

ما نيل منه: يعني: من عرضه، أو ما نيل منه بأي لون من الإساءة، والتعدي، ((فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله))، يحتمل أن يكون الاستثناء هنا من قبيل المتصل، بمعنى: أنه لا ينتقم إذا نيل منه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله -عز وجل-.

يعني: إذا كان في هذه الإساءة انتهاك لشيء من محارم الله -جل جلاله-، ويحتمل أن يكون الاستثناء منقطعاً، المعنى يكون هكذا: وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، لكن إذا انتهكت محارم الله -عز وجل- انتقم لله، لا أنه ينتقم لنفسه -عليه الصلاة والسلام-.

وهذه تربية وأخلاق عالية، كون الإنسان لا يضرب بيده أحداً، وكذلك أيضاً أنه لا ينتقم لنفسه، وإنما يكون انتقامه لله -تبارك وتعالى-.

ثم ذكر حديث أنس -رضي الله تعالى عنه- قال: كنت أمشي مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعليه بُردٌ نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة.

جبذه يعني: جذبته جبذة شديدة، أو جبذة شديدة، المعنى واحد.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب مباحته -صلى الله عليه وسلم- للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرمانه (٤/١٨١٤)، رقم: (٢٣٢٨).

يقول: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي -صلى الله عليه وسلم- يعني: رقبته- وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جذبته.

ثم قال: يا محمد، ناداه باسمه، لم يكنه، ولم يناده بوصف الرسالة -عليه الصلاة والسلام-، والله يقول: **﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾** [النور: ٦٣].

قال: يا محمد، مُر لي من مال الله الذي عندك، ما قال: أحسن إليّ، أو أعطني، أو نحو ذلك، مُر لي من مال الله الذي عندك.

كأنه يقول: فإنك لا تعطيني شيئاً من مالك، قال: فالتفت إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فضحك، ثم أمر له بعطاء<sup>(١)</sup>.

العادة أن الإنسان في مثل هذه المقامات يغضب، يحنق على هذا الإنسان الذي لم يحسن التصرف، والنبي -صلى الله عليه وسلم- ضحك وأمر له بالعطاء.

فهذه -أيها الأحبة- أخلاق عالية، لا يكفي أن يسمعها الإنسان وينقضي بعد ذلك كل شيء، وإنما يرجع إلى نفسه: لو كان في هذا المقام، لو كنت في مكانك الذي أنت فيه في عمل، أو في مدرسة، أو في مستشفى، أو في أي مكان تعمل، فجاءك إنسان من المراجعين وجذبك جذبة أمام الناس، وقال لك: أعطني كذا، أو افعل لي كذا، أو نجّز لي المعاملة الفلانية، فأنت موظف هنا لا أكثر ولا أقل، كيف سيكون شعور الإنسان؟ وكيف سيرد عليه؟ نحن ننسى كثيراً من هذه المعاني والتربية والأخلاق التي نسمعها إذا كان الإنسان في موقف يُستنقز فيه غضبه وتستنثار فيه نفسه، فيصدر أحياناً من الإنسان ما لا يليق من الأقوال والأفعال، ولربما يخرج عن طوره، فيتصرف بتصرفات السفهاء.

والله المستعان.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعطي المؤلفه قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه (٩٤/٤)، رقم: (٣١٤٩)، ومسلم، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة (٧٣٠/٢)، رقم: (١٠٥٧).